المبحث السابع
محاولات صياغة أصول تربية المرأة المسلمة في العصر الحديث

تمثل مرحلة صدر الإسلام وعصور الازدهار مرحلة متميزة في تاريخ المرأة المسلمة، حيث توفرت لها الفرصة للمشاركة مع الرجل في بناء الحضارة الإسلامية الرائعة، وقد وجدناها في قلب الأحداث منذ بدء الرسالة، حيث تعلمت، وعملت وسمعت وحدثت، وأثمر كل ذلك عن بناء الجيل الذي مثل أفراد خير أمة أخرجت للناس.

لكن تلك المرحلة قد كانت مرحلة قصيرة سرعان ما أخذت تضمحل رويدا رويدا، خاصة بعد أن بدأت الحضارة الإسلامية في الانحسار في ظل عصور الركود والتقليد، وقد ألقى كل ذلك بظلاله على المرأة التي عزلت عن الحياة، وهمش دورها، وضرب عليها بسور عظيم من العادات والتقاليد باسم الدين، حيث حرمت -تقريبا- من التعليم، ومن الخروج للعبادة في المساجد ومن الإسهام في الأنشطة الاجتماعية المناسبة.

ونجد أن البعض قد تجاوز الحد في نظرته القاصرة للمرأة حيث رسخ في ذهنه أن التعليم والفقه لا يجتمعان، وأن عقل المرأة ناقص [1] ومستعدة بطبيعتها للغش والحيلة بحيث لو تعلمت لم يزدها التعليم إلا براعة في ذلك (الدهان في مؤتمر المرأة والتنمية في الثمانينات،١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج١، ص ٤٩٤).

ومع مطلع العصر الحديث؛ وقعت كثير من الدول الإسلامية في قبضة الاستعمار، وقد جاء في كتاب " تاريخ البشرية" أن الدول المستعمرة للبلاد الإسلامية؛ لم تكن تعتبر تعليم الشعب من الأمور المهمة بالنسبة إليها، وأن الجهود التعليمية التي وجدت خلال الاستعمار كانت اختيارية وتعتبر استمرارا لما كان سائدا من قبل. أما الإدارات الاستعمارية فقد أنشأت بعض المؤسسات التعليمية في المناطق التي تسودها الأمية في الشرق الأوسط وآسيا وأفريقيا، وكانت تقدم من خلالها تعليما غربي الطراز لإعداد صفوة غريبة عن المجتمع تحتاجها في إدارة مستعمراتها. كذلك فقد كان النفوذ الثقافي الفرنسي واضحا في دوائر التعليم العالي في إيران وسوريا، كما كانت ثقافة صفوة المتعلمين في مصر وتركيا فرنسية أو بريطانية أو ألمانية (تاريخ البشرية، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م ، مج٦، ج٢، ص ٣٥٦، ص٣٦٢) .

---

(١) انظر المعنى الحقيقي لنقصان عقل المرأة الوارد في الحديث في المبحث الثالث عشر.

فهذا الكلام وإن كان صحيحا جزئيا، إلا أنه لا يمثل إلا جزءا من الحقيقة التي تتمثل في أن الاستعمار كان يهدف إلى إبعاد النشء المسلم عن ينابيعه الصافية. ويتضح هذا مما أوردته مجلة المجلات العربية، في عددها الأول للسنة السابعة عام ١٩٠٧م / ١٣٢٥هـ، ص ٣٦، حيث جاء فيها فيما يتعلق بالمدارس الأجنبية ما نصه:

" فهم يعلمون الفتاة قبل كل شيء أن تحتقر مبادئ قومها وترفض معتقداتهم فتتخرج من المدرسة، وهي إلى الدين المسيحي أقرب منها إلى الإسلام، وإلى الأخلاق والعادات الإنجليزية أو الفرنسية.. أقرب منها إلى الأخلاق والعادات العربية الإسلامية، فإذا رأت أمها تلبس (الحبرة والبرقع) هزأت بها وضحكت منها؛ لأنها لم تلبس قبعة ولم تخرج بلا نقاب..... " (مجلة المجلات العربية في "أبو عمشة"، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٦٨).

لقد كانت هذه المدارس من الأدوات التي استخدمت في هدم أخلاق النشء من البنين والبنات، الأمر الذي دفع ببعض الغيورين إلى أخذ زمام المبادرة في التربية.... وذلك بتأسيس المدارس الأهلية وتأليف الكتب المناسبة. وممن دعا إلى ذلك؛ عبد الله النديم الذي قال: "أفلا يحسن في أعينكم أن تفتحوا مدارس لأبنائكم، تهذبونهم فيها وتعلمونهم وتحولون بينهم وبين الوجهة الأوروبية، تداركوهم قبل أن تفقدوهم، عرفوهم أنكم آباؤهم قبل أن ينكروكم، لقنوهم ما أنتم عليه من الدين قبل أن يخالفوكم، حفظوهم تاريخ بلادكم وأجدادكم قبل أن يجهلوكم، ردوهم إلى الوطنية قبل أن يحملوا سلاح العداوة ليتقربوا بدماءكم إلى من ربوهم " (عبد الله النديم في "أبو عمشة"، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٦٧-٦٨).

ومما يؤكد الأغراض الخبيثة للاستعمار في فتحه لهذه المدارس؛ أن هذا الموقف من النديم لم يعجب (اللورد كرومر) " فسعى لدى الخديوي عباس الثاني لينفيه من مصر " (أنور الجندي في "أبو عمشة" ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٦٨).

في هذه الفترة من التاريخ، بدأ بعض الغيورين الذين أدركوا الهوة السحيقة التي تردى إليها المجتمع الإسلامي في المناداة بإصلاح وضع المرأة المسلمة باعتبارها تشكل النواة الأساسية في الأسرة، التي تمثل المؤسسة الأولى في المجتمع. ولم تقتصر هذه الفئة على الرجال فقط، بل شملت النساء أيضا. فكان من بين الرجال الرواد في المطالبة بإصلاح

وضع المرأة المسلمة: رفاعة الطهطاوي وأحمد فارس الشدياق، وعلي مبارك، ومحمد عبده، وقاسم أمين، والطاهر الحداد.

وكان من بين أبرز الرائدات من النساء: عائشة التيمورية وزينب فواز وأنيسة الشرتوني وملك حفني ناصف.

وسوف نتناول فيما يلي جهود كل من هؤلاء الرواد والرائدات؛ موضحين الأصول التي انطلقوا منها في مطالبتهم بإصلاح وضع المرأة المسلمة التربوي.

أولا: الرواد من الرجال:

١- رفاعة الطهطاوي[(١)]: (١٢١٦ - ١٢٩٠هـ/ ١٨٠١- ١٨٧٣م)

انطلق رفاعة الطهطاوي من الأصول الاجتماعية والاقتصادية؛ فرأى أن المرأة تمثل طاقة فكرية مجمدة، وقوة عمل معطلة، ومن ثم فإنه ينبغي تزكية فكرها بالتعليم، وتحريك قوتها بالانخراط في الأعمال المنمية للثروة. فدعوته كما يقرر فرج بن رمضان؛ تندرج ضمن الدعوة إلى تحرير وسائل الإنتاج المادية والمعنوية (ابن رمضان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ١٥).

وقد رأى الطهطاوي في العادات والتقاليد الآبائية دافعا كبيرا إلى معارضة تعليم البنات؛ لذلك نادى بتغيير تلك العادات والتقاليد حتى تتغير نظرة المجتمع إلى تعليم البنات حيث يقول:

" وليس التشديد في حرمان البنات من الكتابة إلا التغالي في الغيرة عليهن من إبراز محمود صفاتهن أيا ما كانت في ميدان الرجال تبعا للعوائد المحلية المشوبة بحمية جاهلية... ولو جرب خلاف هذه العادة لصحت التجربة... "(عمارة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ٣٤٥- ٣٤٦).

ومطالبته بتعليم المرأة لم تقتصر على مجرد التعليم الأولي بل تعدته إلى جميع المعارف والآداب بصفة عامة لتتمكن من التخلص من أغلال الجهل، والارتقاء في مرتبة الذوق الأدبي بما يمكنها عند الضرورة من تعاطي ما يتناسب مع طاقاتها وقدراتها من أعمال.

ونجد أن دعوة الطهطاوي إلى تعليم وعمل المرأة لم تقتصر على مجرد الرغبة في تحرير

(١) انظر التعريف به ص ٢٠.

وسائل الإنتاج، بل تعدته إلى الرغبة في تحرير المرأة من أغلال الجهل والخرافة والفراغ حيث يقول في ذلك:

" يمكن للمرأة عند اقتضاء الحال أن تتعاطى من الأشغال والأعمال ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقتها، فكل ما يطيقه النساء من العلم يباشرنه بأنفسهن، وهذا من شأنه أن يشغل النساء عن البطالة، فإن فراغ أيديهن عن العمل يشغل ألسنتهن بالأباطيل وقلوبهن بالأهواء وافتعال الأقاويل، فالعمل يصون المرأة عما لا يليق ويقربها من الفضيلة، وإذا كانت البطالة مذمومة في حق الرجال فهي مذمة عظيمة في حق النساء، فإن المرأة التي لا عمل لها تقضي الزمن خائضة في حديث جيرانها، وفيما يأكلون ويشربون ويلبسون ويفرشون، وفيما عندها، وهكذا ؟! "

وقد تأثر رفاعة الطهطاوي كثيرا بما شاهده في فرنسا من وضع المرأة، مما يخالف تماما ما هو عليه في بلده؛ لذلك فقد تزامنت دعوته المتعلقة بالمرأة مع عودته من هناك. ويشير الأستاذ محمد حسين إلى ذلك بقوله أن فيما كتبه الطهطاوي في " تخليص الإبريز في تلخيص باريز" من تهوين للاختلاط بين الجنسين مما يكاد يكون دفاعا عنه، ما يدل على تأثره بما شاهده في المجتمع الأوروبي، ويتضح ذلك أكثر مما أورده عن كراهيته لتعدد الزوجات. (محمد حسين، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٢٠١-٢٠٢)

ونجده يفرق بين الخلوة والاختلاط لأسباب مشروعة، حيث يقف مع تحريم الخلوة التي هي مظنة الشبهة أو الداعية إلى الزلل والانحراف، وفي الوقت نفسه لا يرى بأسا في خلوة رجل أو عدة رجال بنسوة ثقات، لا رجل أو عدة رجال بامرأة واحدة " (عمارة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ٣٥١).

وهو يؤكد على أهمية التربية في تزكية نفسية البنات بما يمنعهن من السقوط حيث يقول في كتابه "المرشد الأمين"، ١٨٣٢م/ ما نصه:

" إن وقوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء لا يأتي من كشفهن أو سترهن، بل منشأ ذلك التربية الجيدة والخسيسة " (وادي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ٢٨-٢٩).

٢ -أحمد فارس الشدياق [١]: (١٢١٩/ ١٣٠٤هـ ـ ١٨٠٤/ ١٨٨٧م):

انطلق من الأصول الاجتماعية؛ حيث رأى سوء وضع المرأة في المجتمع، من حيث كونها كائنا مسلوب الإرادة منذ الميلاد وحتى الوفاة، تنال أسوأ تربية، حيث لا تدري من الدنيا شيئا سوى بيتها، ولا تعاشر أحدا غير أهل بيتها والخدم، وتخشى الأم على ابنتها من معرفة أي شيء خشية وقوع المحذور؛ لذلك فقد نادى بتحرير المرأة وتثقيفها وإعطائها مكانتها اللائقة بها في المجتمع، وجاءت آراؤه في كتابه " الساق على الساق " (عائدة، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص ٩٦-٩٧).

وقد أكد الشدياق على أهمية شغل البنت بالعلوم والفنون النافعة العقلية واليدوية، لأن تحررها الحقيقي لا يتحقق إلا إذا تحررت من الجهل الذي يكبلها؛ لذا فقد نادى بفتح مكاتب لتعليم البنات مثل تعليم الصبيان، وإتاحة الفرصة لها للعمل وتولي المناصب مثل الرجال (عائدة، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص ٩٩-١٠٠).

لقد تأثر الشدياق بالطهطاوي بدون شك، وقد أشار هو إلى ذلك بقوله: " ولهذا أستأذنه في ذكر ما أضرب عنه بالكلية أو أشار إليه إشارة فقط... " لكنه كان أكثر منه وضوحا حيث أشار إلى كثير من المتاعب التي تواجهها النساء الغربيات، وانتقد بعض العادات الغربية كاصطحاب النساء للكلاب وغيرها (أبو عمشة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٤١).

فالشدياق لم ينبهر ببريق الحياة الغربية إلى الحد الذي يعميه عن رؤية حقيقتها، بل وجدناه يدرك الظلم الواقع على المرأة الأوروبية ما جعله يدافع عن جهل امرأة الشرق الذي يعد العيب الوحيد فيها، في حين أن امرأة الغرب تزيد عليه مكرا وخبثا. ومن ثم فقد دعا إلى تعليم النساء القراءة والكتابة واشترط استعمال ذلك بشروطه المتمثلة في الاطلاع على الكتب التي تهذب الأخلاق، وتبعد المرأة عن استخدام الحيل والمكائد.

وفي ذلك يقول الشدياق ما نصه:

---

(١) **أحمد فارس يوسف بن منصور الشدياق**. عالم باللغة والأدب. ولد في قرية عشقوت بلبنان وأبواه مسيحيان مارونيان سمياه فارسا. رحل إلى مصر فتلقى الأدب عن علمائها وتنقل في أوروبا، ثم سافر إلى تونس فاعتنق فيها الدين الإسلامي وتسمى أحمد فارس، وتوفي بالآستانة. ونقل جثمانه إلى لبنان. من آثاره: كنز الرغائب في منتخبات الجوائب، وكشف المخبا عن فنون أوروبا، والجاسوس في القاموس. (الزركلي، د.ت، ج١، ص١٨٤).

" والأولى عندي أن تشغل البنت بأحد الفنون أو العلوم النافعة، سواء كان ذلك عقليا أو يدويا. فإن النساء إذا علمن من أنفسهن أنهن أكفاء للرجال في الدراية والمعارف تترسن دونهم بمعارفهن، وتحصن بها عند تطاول الرجال عليهن، بل الرجال أنفسهم يشعرون بفضلهن... ..." (أبو عمشة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٤٦).

٣ -علي مبارك [١]: (١٢٣٩-١٣١١هـ/ ١٨٢٤-١٨٩٣م)

جاء بعد رفاعة الطهطاوي، فكتب سنة ١٢٨٨ هـ/ ١٨٧١ م كتابا أسماه " طريق الهجاء والتمرين على اللغة العربية "حيث إنطلق فيه من الأصول الاجتماعية، مناديا بتعليم الفتيات، الذي هو من جملة الإحسان إليهن بحيث يدربن على أصول تربية الأطفال وأشغال الخياطة والتطريز وتدبير المنزل، وأن ذلك مما يزيدهن كمالا.

يقول في ذلك ما نصه:

وإن من جملة الإحسان إليهن " أن يجعل لهن حظ في التربية العمومية، ومشاركة فيما يليق بهن من المزايا العلمية فضلا عما يجب تمرينهن عليه من أصول حسن تربية الأطفال وأشغال الخياطة والتطريز وحسن تدبير المنازل والمحال، فإن ذلك يزيدهن جمالا وعفة وكمالا، وهو وصف مدح لهن، كما هو حقهن في ضمان النوع البشري... " (أبو عمشة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٥٤).

ويبدو تأثر علي مبارك بأوروبا متمثلا في اتخاذه للنظم الفرنسية في التعليم نموذجا، احتذى به بعد أن عين وكيلا للمعارف بمصر عام ١٣٨٨هـ/ ١٨٦٨م. وقد كان له دور كبير في إنشاء مدارس خاصة بالبنات بمساعدة زوجة الخديوي إسماعيل، منها المدرسة السيوفية، والمدرسة القربية (أبو عشمة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٥٤).

٤ – محمد عبده [١] : (١٢٦٦-١٣٢٣هـ / ١٨٤٩-١٩٠٥م)

---

(١) **علي بن مبارك بن سليمان الروحي**: " وزير مصري، من المؤرخين العصاميين النوابغ. ولد في قرية برنبال... بمصر وتلقن العربية وحذق بعض الفنون، وسافر سنة ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤ م مع بعثة مصرية إلى باريس، فتعلم الاستحكام والمفرقعات الحربية، ثم عاد إلى مصر، فتقلب في الوظائف العسكرية، ثم عين ناظرا للأوقاف المصرية، وأضيفت إليه المعارف، فأنشأ مدارس كثيرة. ومن آثاره دار الكتب المصرية في القاهرة. توفي بالقاهرة. ومن مؤلفاته: قصة علم الدين في ثلاثة مجلدات وهي عبارة عن مباحث دينية واجتماعية، حقائق الأخبار في أوصاف البحار (مدرسي)، خواص الأعداد (مدرسي). (الزركلي، د. ت، ج٥، ص ١٣٨-١٣٩).

انطلق محمد عبده من الأصول العقدية والاجتماعية فأقحم دعاة المحافظة وأنصار الوضع القائم بإشارته إلى أن واقع المرأة المسلمة ليس من الإسلام في شيء، حيث تدنى المسلمون بالمرأة عن المنزلة العالية التي أكرمها بها الإسلام، وحرموها حقوقها، وأن إحياء الإسلام في المجتمع يستوجب من ضمن ما يستوجبه إصلاح وضع المرأة (ابن رمضان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ١٨).

وقد استهدف بأفكاره الإصلاحية التصدي لتياري الجمود والتغريب وذلك من خلال إزالة الركام عن حقيقة الإسلام التي حجبت عن الأذهان، واعتبر ذلك شرطا أساسيا لإصلاح المجتمع الذي لا يتم إلا من خلال التربية التي اعتبرها بمثابة " العصا السحرية " التي يمكن بواسطتها تغيير حال المجتمع، فبدونها يفقد الإنسان القدرة على التحلي بصفات الكمال الإنساني، حيث إن الجاهل يمكن أن يظلم في حين يعتقد أنه يمارس العدل. ومن ثم فقد طالب محمد عبده الأغنياء بالتعاون من أجل توفير المؤسسات التربوية التي تعمل على تربية أفراد المجتمع، وإمدادهم بتعليم أصيل يربطهم بجذورهم ويستجيب لظروف العصر الذين يعيشون فيه (عمارة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٥٠، ص ٢١٣- ٢٢٦).

وقد اهتم محمد عبده كثيرا بالمرأة، ونادى بتعليمها حتى تتفقه في دينها، وتستيقظ من سبات الجهل الذي تغرق فيه والذي جعل منها عنصرا من أهم العناصر التي أدت بالمجتمع الإسلامي إلى التخلف والجمود؛ لذلك وجدناه ينتقد نساء عصره اللاتي: "... ضرب بينهن وبين العلم بما يجب عليهن في دينهن أو دنياهن بستار"، بحيث " لا يخطر بالبال أن يعلمن عقيدة أو يؤدين فريضة سوى الصوم "، وانتقد كذلك تعلل خصوم تعليم المرأة الذين يزعمون بأن جهل المرأة هو سبب تحليها بالعفة والحياء؛ موضحا " أن ما يحافظن عليه من العفة فإنما هو بحكم العادة وحارس الحياء، أو قليل جدا من موروث

(١) **محمد عبده بن حسين خير الله**: من آل التركماني، مفتي الديار المصرية ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام. قال أحد من كتبوا عنه: " تتلخص رسالة حياته في أمرين: الدعوة إلى تحرير الفكر من قيد التقليد، ثم التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب، وما للشعب من حق العدالة على الحكومة" ولد في قرية من قرى مصر. توفي بالإسكندرية بعد ١٣١٧هـ/ ١٨٨٩ م ودفن بالقاهرة. من كتبه: تفسير القرآن الكريم (لم يتم)، رسالة الواردات في الفسلفة والتصوف، الإسلام والرد على منتقديه. (الزركلي، د.ت، ج٤، ص ١٣١).

الاعتقاد بالحلال والحرام " في حين أن الجهل قد أسهم في "حشو أذهانهن بالخرافات " (عمارة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٢٤٣-٢٤٤)، أما العلم؛ فهو السبيل إلى تنمية عقل المرأة المسلمة وتأهيلها للإسهام في إصلاح المجتمع، في حين أن تركها للجهل كي يفترسها وتستهويها " الغباوة"؛ يعد من الجرم العظيم الذي يمثل أحد أخطر أسباب ضعف المسلمين (ابن رمضان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ١٩ـ وادي،١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م، ص ٢٨).

٥ - قاسم أمين[1]: (١٢٧٩-١٣٢٦هـ/ ١٨٦٣- ١٩٠٨م)

انطلق قاسم أمين من الأصول العقدية في تطابق مع المبادئ الأساسية للإسلام في معالجته لقضية المرأة حيث حاول التوفيق بين حدود الوضع القائم، ومقتضيات الحضارة الوافدة من خلال الرجوع للإسلام في أصوله النقية، وذلك في أول كتاب له وهو بعنوان " المصريون "، الذي قام فيه بالرد على دوق داركور الفرنسي الذي شن حملة عنيفة على مصر والمصريين والإسلام والمسلمين سنة ١٨٩٤م / ١٣٠٠ هـ (ابن رمضان، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٢٥-٢٦).

وقد تبني أمين في هذا الكتاب أشد الاتجاهات محافظة على الوضع القائم فيما يتعلق بالمرأة منتقدا وضع المرأة الغربية، انتقادا لاذعا إلى حد الاستهجان والازدراء، ومدافعا عن وضع المرأة المسلمة، وانفصالها عن الرجل الذي لا يشكل- في رأيه- أي مانع لها من الإسهام فيما يفيد المجتمع (عمارة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص٥٥).

لكن تغير اتجاه قاسم أمين تماما بعد ذلك؛ حيث عمد في كتابه تحرير المرأة إلى القول بعدم أهمية أثر الدين في حركة المجتمع، وقد انطلق في كتابه هذا من أصول علمانية غربية، حيث أظهر فيه تمجيده للقيم الاقتصادية الرأسمالية،وانطوت آراؤه على دعوة إلى تحرير المرأة أظهر مما فعله صراحة، ونجده قد ركز على الأصول الاقتصادية والاجتماعية بصورة كاد أن ينكر معها أثر العوامل الحيوية، والفروق الفطرية بين النوعين.

يقول قاسم أمين: "... ولو كان لدين ما سلطة وتأثير على العوائد، لكانت المرأة المسلمة اليوم في مقدمة نساء الأرض (قاسم أمين،١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م، ص١٥).

---

(١) انظر التعريف به ص ٢٠.

فهو يرى بأن المرأة المسلمة لا تصلح لأن تكون أنموذجا يحتذى به. وقد رتب نساء الغرب بحسب الأولوية في الرقي كالتالي: المرأة الأمريكية ثم الإنجليزية ثم الألمانية ثم الفرنسية ثم النمساوية ثم الإيطالية ثم الروسية (قاسم أمين،١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م، ص١٥).

ونجده في هذا الكتاب يبين عن ميوله المتغربة حيث يرى في الحجاب عائقا يحول بين المرأة المسلمة والتقدم، كما يرى في الاختلاط سبيلا لتعزيز التعلم،حيث إن عدم الاختلاط يتسبب في نسيان المرأة لما تعلمته بعد زمن وجيز (قاسم أمين،١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م، ص ٦٨ -٧٧).وفي كتابه الثالث؛ المرأة الجديدة "، أعلن قاسم أمين صراحة عن خروجه على محور الفكر الإصلاحي، وأشهر تبنيه للتمدن الغربي، حيث طالب بأن تربى المرأة على الشعور بالذات بعيدا عن الرجل (قاسم أمين،١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٢٨-٣١).

كذلك أكد قاسم أمين قي كتابه هذا على عدم صلاحية التمدن الإسلامي ليكون أنموذجا يحتذى به، بل أرجع الفضل إلى الأمم الأوروبية التي ورثت علوم اليونان والرومان، وأحلت سلطة العلم محل سلطة رجال الدين بعد جهاد طويل، ومن ثم فإنه ينبغي تربية النشء الجديد على معرفة شئون المدنية الغربية والوقوف على أسرارها ومجاراة أصحابها (عمارة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ص ٨٤ -٩٦).

ويتضح من أفكاره أنه ينفي أي تمييز، أو أية خصوصية حضارية للأمة المسلمة حيث نجده يطالب بتبنيها لقيم الآخرين واتجاهاتهم.

وقد ركز أمين كثيرا على الأم على اعتبار أن مدار التربية يقوم عليها منذ الولادة وحتى المراهقة، إلى جانب أثرها الكبير الذي تتركه على من حولها من الرجال (عمارة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٤٧٣، ص ٤٧٧).

وفي تصوره لأصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة؛ نبه أمين إلى وجوب الاهتمام بالنواحي الجنسية والخلقية والعقلية للمرأة بحيث تشتمل تربيتها على ما يلي:

أ- **من الناحية الجسمية**: تعليمها أصول الصحة، وتعويدها الرياضة منذ الصغر، مما يساعدها على تحمل مشاق الحمل والولادة، والعناية بوقاية نفسها وأولادها من الأمراض.

ب- **من الناحية الخلقية**: تعريفها بالآداب التي تساعدها على نشر الأخلاق بين

أولادها.

ج – من الناحية العقلية: تعريفها بالعلوم والفنون التي تمكنها من التعرف على ما في الكون من موجودات.

يقول قاسم أمين ما نصه:

" ومهما عظم اشتغال المرأة؛ فإنها تجد من الوقت ما تثقف فيه عقلها وتهذب نفسها. ولو خصص نساؤنا للمطالعة عشر الوقت الذي يقضينه اليوم في البطالة ولغو الكلام والخصام لارتقت بفضلهن الأمة المصرية ارتقاء ماهرا" (قاسم أمين ، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م، ص ٢٦ – ٦٦).

وهو يرى بأن التربية العقلية لا تتم من خلال القراءة والكتابة واللغات الأجنبية بل بتعلم أصول العلوم الطبيعية والاجتماعية والتاريخية؛ لكي تعرف القوانين الصحية التي ترجع إليها حركات الكائنات وأحوال الإنسان، وإلى تعلم مبادئ قانون الصحة ووظائف الأعضاء لتتمكن من تربية أولادها. والمهم هو تشويق المرأة للبحث عن الحقيقة، وليس حشو ذهنها بالمواد، كما ينبغي أن تتعلم صناعة الطعام وترتيب البيت، وتنمية ميلها إلى الفنون الجميلة ثم التصوير والرسم والموسيقى. فهذه هي التربية التي تيسر للمرأة الجمع بين واجباتها المختلفة لتكون إنسانا يكسب عيشه بنفسه، وزوجة قادرة على توفير أسباب الراحة، وأما صالحة (عمارة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٤٨٨- ٤٩١).

ويتحدث االبن رمضان عن هذا التحول في أفكار قاسم أمين الذي بدا وكأنه من النقيض إلى النقيض، فيرجع ذلك إلى **أمرين**:

الأول: طبيعة المرحلة التاريخية وانعكاساتها على الحياة الفكرية.

الثاني: انتماء قاسم أمين الطبقي وموقعه الأيديولوجي.

فالتحولات تعبر عن محاولة للحاق بالواقع، ومواكبة ما يطرأ من تغيرات، فعندما هاجم داركور مصر والمصريين؛ رد عليه من موقع الوطني الذي أسيء إلى وطنه، ثم بضغط الحاجة الاقتصادية والاجتماعية للطبقة البورجوازية الناشئة، نادى بتحرير المرأة الذي أثار عليه حملات عاتيات، أدت بضغطها إلى إذاعة ما ضمنه في الكتاب الثاني ".. تحرير المرأة " في كتابه الثالث " المرأة الجديدة " . فهو يمثل مسيرة البورجوازية وانتقالها

من المعسكر الوطني إلى الارتماء في أحضان التبعية الغربية عملا وفكرا (ابن رمضان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٣٣-٣٦).

ويؤكد خليل خليل ما ذهب إليه ابن رمضان حيث يشير إلى أن قاسم أمين قد رأى الرجل في الطبقة العليا من المجتمع قد تعلم واستنار عقله، في حين بقيت نساؤها جاهلات، مما يدفع به إلى ازدراء زوجته، حيث لا أثر لها في حياته، فتضيق لذلك وتشعر بظلمه، سيما وأن الرجال قد سلبوا ثقتهم من النساء واعتقدوا أنهن أعوان لإبليس، وكانوا يتساءلون ما إذا كان تعليمها القراءة والكتابة مما يجوز شرعا أم لا، بل ذهبوا إلى أكثر من ذلك حيث كانوا من باب التحقير؛ يعيرون فلانا بأنه تربية امرأة (خليل خليل، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ١١١-١١٢).

فقاسم أمين قد أخطأ من حيث أراد تصويب وضع المرأة في المجتمع من حوله، لأنه حاد عن أصالته، وانبهر بالتمدن الغربي؛ ولذلك وجدناه بعد أن رأى الآثار السلبية الكثيرة التي نتجت عن دعوته؛ قد عاد عنها في أواخر أيامه [١]. ولكن رغم ذلك فإنه لابد من الإشادة بما قدمه من آراء فيما يتعلق بالمنهج الواجب أن تشتمل عليه تربية المرأة المسلمة من أجل إعدادها لمستقبلها، والذي اشتمل على كثير من المعارف التي كانت تفتقر إليها تربية المرأة المسلمة في عصره.

٦ - الطاهر الحداد [٢]: (١٣١٧-١٣٥٤هـ/ ١٩٠١-١٩٣٥م)

جاءت أفكار الحداد تتويجا لأفكار من سبقه من الرواد منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وقد أورد خلاصتها في كتابه " امرأتنا في الشريعة والمجتمع " الذي كتبه في أواخر حياته، والذي - كما يقول ابن رمضان - انطوى على رؤية متسقة متكاملة العناصر متعمقة في القضية "، حيث التقت فيه جميع الأبعاد التاريخية من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية (ابن رمضان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٤١-٤٦).

---

(١) انظر المبحث العاشر.

(٢) **الطاهر بني علي بن بلقاسم الحداد**: كاتب وأديب وشاعر وصحفي،نصير المرأة، ينحدر من أسرة عمالية فقيرة. حفظ القرآن بأحد الكتاتيب ثم التحق بجامع الزيتونة. حاز الجزء الأول من شهادة الحقوق في حين منع من اجتياز الامتحان الخاص بالجزء الثاني والنهائي بسبب الضجة التي أثارها كتابه " امرأتنا في الشريعة والمجتمع"، والتي وصلت إلى محاولة القتل " كفرا لا حدا" واستمرت تلك الحملة لعدة سنوات (محفوظ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ١٠٩-١١١).

وقد نادى الحداد بتربية متكاملة للمرأة؛ لذلك وجدناه في كتابه قد انطلق من الأصول العقدية، فأقبل يتدبر واقع المسلمين المتسم بالجمود الذي كاد يقضي عليهم بالموت؛ فطالب بتنقية الإسلام من الأوهام المهلكة، والقضاء على العقلية الخرافية، وترسيخ مبادئ التربية العقلانية، وتنقية القيم مما لحق بها من ألوان الزيف والنفاق، وتصفية العادات الاجتماعية السيئة، كذلك انطلق من الأصول الاجتماعية مستهدفا قمة الهرم المعرفي المتمثل في العلماء؛ معتبرا أن دورهم في الإصلاح هو الأهم، كما أنه اعتبر المرأة أحد أهداف المشروع وأداة في الوقت نفسه حيث اهتم بإبراز نظرة الإسلام الحقيقية تجاه المرأة، وفي الوقت نفسه وجه المرأة إلى أهمية الانصراف إلى تربية أبنائها على أساس من الفهم الصحيح للإسلام، بعيدا عن الانجراف وراء التبعية للآخرين (الحداد، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م، ص ٦، ص ١٠٦ -١٣٣).

وقد اعتبر المرأة ضحية للمجتمع التونسي، وفي الوقت نفسه أحد أسباب مرضه، ومن ثم فقد ندد بالمتعلمات المتحذلقات اللاتي لا يزدن عن الجاهلات بأكثر من الغرور والاستكثار من الزينة التي يقلدن فيها الغربيات. وهو يرى بأن المرأة إذا ما تغيرت أصبحت أداة فعالة للتغيير، ويقصد بذلك تغيير النفوس،حيث إن تربية المرأة تنعكس على من حولها، وأولهم أطفالها (الحداد، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م، ص ١٩٦).

وانطلق الحداد أيضا من الأصول الاقتصادية في حديثة عن أهمية تطوير الصناعات النسائية وتعميمها، وكيف أن جهل المرأة بأبسط أصول الحساب يجعلها عرضة للغش من التجار عند الشراء، وكذلك فإن تعليمها ينعكس أثره على حياة عائلتها وعلى تربيتها لأبنائها بحيث تصبح" في منزلها كالرجل في محل عمله، تقوم بما فيه من تكاليف، وتهيئ له أسباب الراحة والطمأنينة " (الحداد، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م، ص ١٣٨، ص ١٥٩).

ويشير الحداد إلى أن وضع المرأة؛ إنما يمثل عنصر استنزاف وعامل تبديد للثروة، ويعمل على إبعادها عن النشاط الاجتماعي المنتج، إلى جانب معطيات أخرى نفسية وفكرية، وأن ذلك لا يقتصر على نساء الطبقات المتوسطة والكادحة، بل يشمل جميع الأوساط. ففي الأسر الموسرة؛ نجد المرأة تتفنن في تبديد الثروة، بسبب الفراغ الذي يدفعها إلى إفراغ طاقتها في الاستهلاك الذي يخدم المؤسسات الاقتصادية الغربية، إضافة إلى تبديد مال الزوج حتى لا يجد ما يعدد به عليها غيرها، هذا من جانب، ومن جانب

آخر فهناك عادات الزواج وما فيها من مجاراة للآخرين؛ مما يعود على غير الأسر الموسرة بالديون (الحداد، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م، ص١٤٠ -١٤٤).

كذلك تحدث الحداد عن المهن التي تشتغل بها النساء في البدو والحضر، وكيف أنها ظلت جامدة دون تطوير، كما ورثت عن السلف، ودعا إلى تعصيرها وتعميمها (الحداد، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦، ص ١١٨-١٢٠).

فهو قد استهدف تعصير عمل النساء، وتطوير أساليبه من أجل تنمية الثروة الوطنية وضمان قدر من المناعة الاقتصادية للوطن.

وقد وضع الحداد منهاجا متكاملا لتربية المرأة المسلمة، رأي فيه سبيلا يساعدها على القيام بوظيفتها، وحدد أهداف كل حقل معرفي في المنهاج وذلك على النحو التالي:

أ- تعليم المرأة أصول دينها وتاريخه ولغة قومها وتاريخ بلادها لتسهم في تزويد أبنائها بالفضائل.

ب- تعليمها العلوم الرياضية والطبيعية لتعرف الأشياء على حقيقتها، وتزدري الماديات، وتزول من ذهنها الخرافات وينعكس أثر ذلك على أبنائها.

ج- تعليمها الرياضة البدنية درسا وعملا لما فيها من قوة ونشاط يعينان على النشاط المعنوي ويساعدان المرأة على تحمل مصاعب الحمل والولادة والاهتمام بصحة أولادها.

د- تعليمها مبادئ الصحة لتحتاط في تغذية أولادها ولا تنخدع بإرشاد الجاهلات.

هـ- تعليمها فن التربية بما يمكنها من الإحسان في تربية أولادها.

و- تعليمها الروايات القصصية والتمثيلية ذات المغازي الأخلاقية والاجتماعية ففي ذلك إكمال لثقافتها بحيث تأخذ العبرة والعظة من حياة الآخرين.

ز- تعليمها تدبير المنزل وبعض الصناعات كالخياطة والتطريز لتسهم في وضع ميزانية الصرف، وتوفر بعض الأموال، إذ لا يكفي في ذلك الإعداد المنزلي الموروث.

ح- تعليمه بعض الحرف والصناعات لتعين زوجها عند الحاجة.

ط- تعليمه الفنون الجميلة من شعر وموسيقى وتصوير للقضاء على الأدب السافل المنتشر.

وقد أكد الحداد على أهمية البدء بالتربية منذ النشأة، وأكد على أهمية القدوة الحسنة وتوجيه المرأة بما ينمي لديها الشعور الكامل بواجباتها في الحياة (الحداد، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م، ص ٢٠٦-٢٠٩، ص ٢١١-٢١٢).

ثانيا: الرائدات من النساء:

بدأت جهود بعض السيدات منذ حكم محمد علي في مصر حيث شاركت المرأة في النهضة التعليمية متعلمة في المدارس الأجنبية التي افتتحت عام ١٨٣٦م / ١٢٥٢ م، ثم معلمة، حيث قامت بعض السوريات المتخرجات من هذه المدارس بالتدريس.

وسوف نورد فيما يلي عرضا لأفكار أبرز الرائدات اللاتي حاولن نقل جهودهن إلى مجال الإصلاح الاجتماعي للمرأة، وذلك في نهاية عصور الركود والتقليد وبداية العصر الحديث.

١ -عائشة تيمور[(١)]:

تعد عائشة تيمور أول من نادى بضرورة العناية بتربية المرأة وتهذيبها، وذلك في الربع الأخير من القرن التاسع عشر. ولها مقال بعنوان:" لا تصلح العائلات إلا بتربية البنات "؛ انطلقت فيه من الأصول الاجتماعية، حين رأت سوء تربية النساء لأبنائهن بسبب الجهل الذي يرسفن يه، وقد ركزت في توجيهها على الرجل باعتباره الولي المسئول عن تربية المرأة، كما أشارت إلى اهتمام المجتمع بالزينة الوهمية للمرأة والحرص عليها، والمتمثلة في الحلي والمجوهرات، في غفلة عن الزينة الحقيقية؛ والتي تتمثل في العلم والمعرفة اللذين يزينان العقل، ويساعدان المرأة على الإحسان في إدارة شئونها.

تقول عائشة ما نصه:

"... فكان التأمل في هيولي هذا الكون موجبا على الهيئة الرجولية العناية بتأديب البنات وتهذيب العائلات؛ لأن ثمرة السؤدد راجعة إليها. فلربما أنه عقد أمر على الرجل

---

(١) **عائشة عصمت بنت إسماعيل تيمور**: ولدت بالقاهرة سنة ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠ م، فأخذت النحو والعروض على فاطمة الأزهرية وستيتة الطبلاوية، فبرعت فيهما، وأخذت الصرف واللغة الفارسية على خليل رجائي والقرآن الكريم والخط والفقه على إبراهيم مؤنس، ولها ثلاثة دواوين: بالعربية والتركية والفارسية، من إنتاجها: الأحوال في الأقوال والأفعال وهي قصة مكتوبة على تسع مقامات. (كحالة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ج٥، ص ٣٢٨).

فلمته الزوجة بأطراف بنانها الرقيقة وأخمدت (جذوة) ولوعه بتدابيرها الدقيقة وهو مع ذلك يجتهد في أن يكتم فضلها بين أفراد الهيئة ويحذر من إعلانه خشية أن يقال هي معلومية فيكدر عيشه الصافي بخلاف الدولة الغربية فالأسف ثم الأسف على هيئة لم تمض فحصها في هذا النسق البديع ولم تجهد نفسها في البحث على هذا الشرف الرفيع والعجب ثم العجب على مدينة تشغف بتزيين فتياتها بحلي مستعار وتستعين على إظهار جمالهن بزخرف المعادن والأحجار وتتخيل أنها زادتهن بسطة في الحسن والدلال والحال أنها ألقت تلك الأحداث في أخدود الوبال لأنه لم يعد عليهن من تلك المستعارات إلا العجب والغرور المؤدي بهن إلى ساحة المباهاة والفجور وذلك لكف بصيرتهن عن الإدراك وعدم عملهن (علمهن) بنتائج الأحوال وعواقب الأمور... ..... فلو عني رجالنا معاشر الشرقيين بتربية بناتهم وأجمعوا على تلقين العلوم لهن بمقدار شفقتهم لنالت أرفع مجد وأهنأ جد ولعوضت تلك الفتيات عن ذلك القلق براحة العرفان وأوسعت بسواعد معلوميتهن مضيق السلوك إلى ساحة الإذعان وقامت بواجبات التدبير وهمت بوقاية أساس حليتها من التدمير لأن تخرب الدور بعد انقطاع أهلها طبيعي والطبيعي ليس بضار "(كحالة، د.ت، ج٣، ص ١٧٠ – ١٧٣).

ونجدها في بعض كتاباتها تؤكد على أهمية التربية والتهذيب للمرأة وأثر ذلك في إصلاح ما ساد المجتمع من فساد خلقي. وهي في تأكيدها هذا لم توافق قاسم أمين في دعوته إلى السفور؛ بل ظلت متمسكة برأيها في ضرورة المحافظة على الحجاب. وقد قالت في ذلك قصيدة شعرية جاء فيها:

بيد العفاف أصون عز حجابي

وبعصمتي أسمو على أترابي

ما ساءني خدري وعقد عصابتي

وطراز ثوبي واعتزاز رحابي

ما عاقني خجلي عن العليا ولا

سدل الخمار بلمتي ونقابي

(زيادة، ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م، ص١٨١ – ١٨٢)

٢ -زينب فواز[1]: (١٢٧٧-١٣٣٣هـ/ ١٨٦٠م-١٩١٤م)

كانت زينب ومن أوائل المطالبات بتغيير وضع المرأة المسلمة بعد أن تألمت لما هي عليه من ظلم اجتماعي. وقد ألفت كتابا أسمته " الرسائل الزينبية" انطلقت فيه من الأصول الاجتماعية مطالبة بنهوض كل من المرأة والمجتمع، وذلك عن طريق العلم والمعرفة. وقد تطرفت زينب في مطالبتها إلى الحد الذي جعلها تنادي بإتاحة الفرص للمرأة لممارسة ما يتعاطاه الرجال من أعمال، واتخذت من المرأة الغربية مثالا لها في ذلك (كحالة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص ٨٤).

تقول زينب في مقالة لها بعنوان" الإنصاف":

" وما من أمة فشا فيها داء الكسل وسرت إليها علة الخمول إلا دمرتها وهدمت أركان عزمها ودكت حصون تمدنها ومما يؤيد لنا ذلك، هو ما ظهر لنا من تقدم الغرب على الشرق في هذا العصر حين ما عولج أهله وشفي جسمهم من داء الكسل والخمول فازدهى عصرهم على جميع العصور وفاق كافة الدهور إلى حد أنه صار النساء فيه يبارين الرجال ويشاركنهم في الأعمال، وحيث قد أجمع السواد الأعظم منهم على أن الرجل والمرأة متساويان بالمنزلة العقلية وعضوان في جسم الهيئة الاجتماعية لا غنية لأحدهما عن الآخر فما المانع إذا من اشتراك المرأة في أعمال الرجال، وتعاطيها الأشغال في الدوائر السياسية وغيرها متى كانت جديرة تؤدي ما ندبت إليه.... " (كحالة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧، ج٢، ص ٨٦).

ونجد أنه رغم دعوتها إلى المساواة في الأعمال بين الرجال والنساء، إلا أنها لم تكن تقصد من وراء ذلك مخالفة مبادئ دينها، حيث نجدها تؤكد على أهمية الشريعة " كمرشد يدعو كل واحد إلى الوقوف عند حده".

ويؤكد ذلك أنها لم تكن ممن طالبن بإلغاء الحجاب، وإنما كانت تنتقد بشدة التشدد الذي كان يمارسه الرجل على المرأة بحيث يمنعها من التعليم، ومن الخروج من المنزل، ومن حضور المحافل النسائية العامة (أبو عمشة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ١١١).

(١) انظر التعريف بها ص ٢١.

٣-أنيسة بنت سعيد شرتوني[1]: (١٣٠١-١٣٢٤هـ / ١٨٨٣-١٩٠٦م)

كاتبة وأديبة، لها مقالات كثيرة منشورة في الصحف من بينها مقال بعنوان: " فصل الخطاب في الرجل والمرأة"، انطلقت فيه من الأصول العقدية - بعد أن لمست تطلع بعض نساء عصرها إلى تعاطي ما يتعاطاه الرجال من أعمال - لتؤكد على حكمة الخالق في طبع كل من الذكر والأنثى بما يلائم وظيفته التي وجد من أجلها. وقد تعجبت أنيسة من المطالبات بامتهان أعمال الرجل، حيث يغفلن عن عظمة العمل الذي خلقت من أجله المرأة والمتمثل في وقاية النوع البشري من " الفناء والاضمحلال." كما لفتت الأنظار إلى بعض المهن التي تتناسب وتكوين كل من الرجل والمرأة والتي يمكن للمرأة أن تشارك فيها مثلها في ذلك مثل الرجل كالكتابة، ونظم الشعر وغيرها. (كحالة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ج١، ص ٩٩-١٠٣).

تقول أنيسة ما نصه:

" من المعلوم لكل أحد أن الرجل والمرأة مصدر الكائنات البشرية والعلة في بقائها. فإذا انقرض أحدهما، انقرض النوع البشري برمته حتى لا يبقى في الغبراء ديار ولا نافخ نار... وقد صاغ الخالق الحكيم كلا منهما صيغة مناسبة لما أراد به، كما صاغ كل واحد من المشاعر الخمس صيغة لا يتصل المقصود من تلك الحاسة إلا بها.... وإذا نظرت المرأة إلى الغرض العظيم الشأن الذي كونت تكوينا كاملا للقيام به رأت أنها منبت الورى كلهم أجمعين من ضعيف وقوي ومسكين وجاهل وعالم وسوقة وملك،.. وعلمت علم اليقين أنه لم يأت العالم رجل إلا خاضعا لسلطانها منقادا لحكمها لائذا برأفتها مستخرجا رزقه من ثدييها لا ملجأ له سواها وإنها هي أول أستاذ له وأول حاكم عليه فما على وجه البسيطة من ملك لم يكن أول عهده بالدنيا تحت يد المرأة وما من سلطان لم تعرك المرأة أذنه أو تضرب خده بكفها فإذا التفتت أختي المرأة إلى ما ذكرت رأت أنها في مقام عال في الاجتماع الإنساني، بل رأت أنها أحد ركني الكون العظيمين وإذا نظرت إلى ذلك حق لي

(١) كاتبة أديبة ولدت في بيروت سنة ١٣٠١ هـ/ ١٨٨٣م.. فكانت تختلف في البداية إلى مدرسة الراهبات الناصريات ثم انتقلت إلى مدرسة عين طورة، ثم مدرسة التقدم في بيروت حيث درست فيها لمدة ثلاث سنوات: أصول العربية وقواعد اللغة الفرنسية والتاريخ والجغرافيا والحساب ومبادئ الطبيعيات وفنون الأعمال اليدوية كالزركشة والتطريز، وشجعها والدها على الكتابة فنشرت العديد من مقالاتها في الصحف. (كحالة، د. ت، ج١، ص ٩٩-١٠٠).

القول أن من العجب العجاب ما يقرأ من المقالات لبعض النساء اللواتي يطلبن أعمال الرجال كالقضاء مثلا مع أن الطبيعة تشهد بغير لسان أن الصيغة التي صيغت عليها المرأة لم تعدها لمثل ما تطلب نساء البلاد الزاهرة الحضارة المستأثرة بحمل راية المعارف والصنائع دون سائر بلاد الله كلها جمعا.

وعظمة العمل الذي أعدت له المرأة ينحط عنده كل عمل ألا وهي خلقت لوقاية النوع البشري من الفناء والاضمحلال وهي التي برئت لأن تهدي إلى الدنيا الذرية البشرية الكافلة لبقاء العمران. (كحالة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ج١، ص ١٠٠-١٠٢)

وتؤكد أنيسة على أهمية الالتزام بالأصالة في التعامل مع الأفكار المستحدثة، وذلك من خلال وزنها بدقة قبل اتباعها بحيث، يتمسك الفرد بالقديم إذا ما علم أنه الصواب، وهي تؤكد على أن فكرة المساواة التي طرحتها المرأة الغربية هي من باب " مخالفة الطبيعة ولا يعرف في الكون عمل خالف الطبيعة ونجح" (كحالة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ج١، ص ١٠٤-١٠٥).

٤ - ملك حفني ناصف [(١)]: (١٣٠٤ - ١٣٣٧هـ/ ١٨٨٦ - ١٩١٨م)

تعد ملك حفني ناصف أهم المصلحات وأبعدهن أثرا منذ بداية القرن العشرين؛ حيث تزعمت الحركة النسائية بعد قاسم أمين الذي كان يهدف إلى تغيير أحوال المرأة المسلمة بالكلية، بينما هدفت ملك إلى إصلاح أحوال المرأة من خلال استرداد ما خسرته من حقوق في عصور الجمود والتخلف.

فهي كما يقول فرج، لم تهدف إلى " إنصاف المرأة على حساب الرجل، وإنما أرادت إنصافها من أجله ومن أجلها، ومن أجل الأمة كلها." (فرج، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٨٣-٨٤).

وتعد ناصف أول مصرية تمثل النساء في مؤتمر حكومي عام، وذلك سنة ١٩١١م/ ١٣٢٩ هـ، حيث قدمت مشروعا إصلاحيا للمرأة أجملت فيه أهدافها ومنها:

١- تعليم البنات الدين الصحيح أي تعاليم القرآن الكريم والسنة الصحيحة.

٢- تعليم البنات التعليم الابتدائي والثانوي وجعل التعليم الأولي إجباريا لكل الطبقات.

---

(١) انظر التعريف بها ص ٢١.

٣- تعليم التدبير المنزلي علما وعملا، وقانون الصحة وتربية الأطفال والإسعافات الطبية والوقتية.

٤- تخصيص عدد من البنات لتعلم الطب والتخصص فيه وكذلك فن التعليم حتى يقمن بكفاية النساء في هذه المجالات.

٥- إطلاق الحرية في تعليم العلوم العالية لمن تريد.

٦- تعويد البنات منذ الصغر على الصدق في القول والجد في العمل والصبر، وغير ذلك من الفضائل.

(فرج، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٨٦)

وهكذا فقد جاء برنامجها متكاملا حيث انطلق من الأصول العقدية والاجتماعية والاقتصادية، واهتم بجميع الجوانب الخاصة بتربية المرأة.

وقد أكدت ناصف على أهمية الأصالة في تربية المرأة المسلمة حيث أشارت إلى أن إصلاح المرأة لا يتم من خلال تجريب أساليب الأوروبيين، بل من خلال نقد العادات والتقاليد، وتربية المرأة وتعليمها.

ومن ضمن كتاباتها مقالة لها عن المرأة المصرية والمرأة الغربية؛ انتقدت فيها التقاليد البالية التي توقع الظلم على الأنثى منذ الولادة، وذلك من خلال التشاؤم بولادتها، ثم إهمال تربيتها، وممارسة التفرقة بينها وبين الذكر طوال سنوات الطفولة والمراهقة.

وقد ركزت في مقالها على المناداة بأهمية تعليم البنت تعليما أصيلا بعيدا عن التقليد الأعمى للغرب الذي بدا لدى بعض العائلات اللاتي بدأن في إرسال بناتهن إلى المدارس ليتعلمن ما لا يفيدهن في مستقبل حياتهن. كما أكدت على أهمية التربية الخلقية بحيث تبعد البنت عن غير اللائق من القصص والأشعار. وأكدت أيضا على أهمية التربية العقلية التي تطلق عقل المرأة منذ الصغر بعيدا عن الجهل والخرافات، لتعيش عصرها بتقدمه، وعابت على من يرى في تجهيل المرأة وسيلة لإبعادها عن مفاسد الاختلاط،حيث إن التربية الصحيحة هي الوسيلة المثلى لذلك.

وتقول ناصف في ذلك ما نصه:

"بعض أضداد تعليم الفتاة يرون أن تظل الفتاة جاهلة خير لها من أن تتعلم لأن التعليم يوسع عليها حيل الاختلاط الذي لا تبرره العادة ولا يسمح به أولياؤها وهي نظرية فاسدة؛ لأن التربية الحقة تحول دون ذلك فالفتاة الكاملة تجد من عفتها وقدوة أهلها وآداب نفسها ما يخيفها من سوء الأحدوثة وتعلم أن سمعة الفتاة كالزجاج الصافي يتلوث من أقل الأشياء وإذا انكسر فلا يجبر. أما الفاسدة فتميل إذا وجدت مسربا سواء كانت عالمة أو جاهلة وغاية الأمر أن الجاهلة أسرع شططا وأدنى إلى أن تشهر بنفسها وقلما تعرف نتيجة تصرفها السيئ إلا بعد وقوعها في سوء مغبته. (كحالة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ج ٥، ص ٧٩-٨٧)

وقد أنكرت ناصف على المستبدين في استعباد المرأة من خلال آرائهم وأفكارهم التي تتراوح ما بين النقيضين المتمثلين في الغلو في كل من الحجاب والسفور، وأكدت على أهمية أخذ الأفكار بوعي وتمحيص من قبل المرأة. (كحالة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ج٥، ص ٩٣)

كذلك فقد أكدت ناصف في كتاباتها على أهمية الالتزام بالأصالة في الاقتباس من الحضارة الحديثة حيث تقول في ذلك ما نصه:

" وإذا أردنا أن نكون أمة بالمعنى الصحيح تحتم علينا أن لا نقتبس من المدينة الأوروبية إلا الضروري النافع بعد تمصيره حتى يكون ملائما لعاداتنا وطبيعة بلادنا. نقتبس منها العلم والنشاط والثبات وحب العمل. نقتبس منها أساليب التعليم والتربية وما يرقينا حتى نبدل من ضعفنا قوة وإنما لا يجوز في عرف الشرف والاستقلال أن نندمج في الغرب فنقضي على ما بقي لنا من القوة الضعيفة أمام قوته المكتسحة الهائلة." (كحالة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ج٥، ص ٩٥)

إنه ما من شك في أن جهود الرواد التي أشرنا إليها آنفا؛ قد جاءت استجابة للظروف التي عمت المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت. وما يجمع بينهم أنهم انطلقوا من المطالبة بالتغيير والإصلاح لحال المسلمين الذين تخلفوا في مختلف المجالات المادية والخلقية والفكرية، وكانوا يرون أن تغيير وضع المرأة يمثل جانبا مهما في تغيير وضع المسلمين.

لكنهم قد بالغوا في تضخيم المرأة باعتبارها أداة، وبالغوا في الدور الذي يمكن أن تؤديه، ولعل السبب في ذلك على ما يبدو؛ هو نوع من رد الفعل لليأس من الإصلاح من خلال الآخرين. (ابن رمضان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص٧٤-٧٥)

ونجد خطاب المفكرين قد ظل محكوما بنظرة معيارية نفعية استهدفت **أمرين** لا ثالث لهما: **الأول** تعليم المرأة، و**الثاني** عملها. " فالمرأة أداة إنتاج معطلة ينبغي تحريكها وتحريرها، وإنما يكون ذلك بالتعليم أولا حتى تقوم بإنتاج العنصر البشري الصالح، فتفي بحاجة المجتمع إلى نموذج من الإنسان جديد جسما ونفسا وعقلا، ويكون التحرير بالعمل ثانيا، وبه تساهم(تسهم) المرأة في تدعيم القاعدة المادية للكيان الوطني." (ابن رمضان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩، ص ٧٦)

ورغم أن هناك من تجاوز هذه النظرة؛ إلا أن ذلك لم يكن على قدر من القوة التي تتغلب على هذا الاتجاه الغالب أو تخفف من أثره، إلى جانب أن خطاب الرواد قد توجه أساسا نحو المرأة الأم، ولم يهتم بالفتاة قبل الزواج إلا من حيث إعدادها لتكون زوجة وأما.

وكما رأينا فقد فتن كثير من الرواد والرائدات بالتقدم الغربي الذي شاهدوه حينما ذهبوا إلى الغرب أو جاء إليهم (عن طريق الاستعمار)، ومن ثم اندفعوا يطالبون بالاقتداء به في كل خطواته، غير واعين بخطورة النتائج المترتبة على الأخذ بأفكارهم، وقبل ذلك غفلوا عن الحضارة العظيمة التي ينتمون إليها والتي تمتلك جميع مقومات التقدم والرقي التي تحتاج إلى أن تبعث من رقادها الذي طال خلال عصور الركود والتقليد.

ويلاحظ أن قضية المرأة قد عالجها الرجال أولا، وأنه على الرغم من ظهور فئة من النساء أسهمت في ذلك، إلا أنه لم تظهر من بينهن رائدة فرضت حضورها على مستوى الفكر فطرحت قضية المرأة من وجهة نظر المرأة نفسها، ونجد أنه حتى ملك حفني ناصف التي قدمت تصورا لبرنامج جيد لإعداد المرأة؛ إلا أن أفكارها قد تغوضي عنها بذهابها. وظلت قضية المرأة مثارة من قبل الرجال.

وأرى أن السبب الأساسي في ذلك ربما يرجع إلى قلة المتعلمات من النساء، وتدني المستوى التعليمي للمتعلمات منهن، إلى جانب قلة أو انعدام - الفرص التي تسمح للنساء بالتعبير عن آرائهن وتصوراتهن.

ثالثا: ما بعد الرواد:

بنهاية عهد الاستعمار وحصول الاستقلال السياسى؛ تحقق الحلم وأصبح تعليم المرأة المسلمة واقعا مفروضا على المجتمع، وكذلك انخراطها في العلم، ولكن بدرجات متفاوتة من بلد لآخر، وسوف نورد فيما يلى ملخصا لبدايات التعليم في عدد من الدول الإسلامية، ونفصل الحديث بعض الشيء عن تعليم البنات في المملكة العربية السعودية باعتباره تجربة متميزة:

١ - بداية تعليم المرأة في مصر:

لما تولى محمد على الحكم؛ أراد إنشاء دولة متقدمة تقوم على العلوم الحديثة، فكان من ضمن ما فعله أن أقام مدرسة للبنات؛ يتعلمن فيها بعض علوم الصحة، وقد أحضر للتدريس فيها مولدات وطبيبات. فكانت الفتيات يتعلمن فيها الفرنسية وبعض الفنون اليدوية والموسيقى وذلك عام ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م (يوسف أسعد، د.ت، ص ٨٦-٩٠)، ثم أنشئت عدة مدارس للجاليات الأجنبية، لكن ثاني مدرسة تابعة للحكومة هى مدرسة البنات بالسيوفية والتي أنشئت عام١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م، ثم المدرسة القربية عام١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م، وكانت الأقلية المتعلمة هي التي تدفع ببناتها للالتحاق بتلك المدارس.(زيادة، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص ص١٤٠-١٤١)

وقد طالبت الفتيات المصريات بدخول الجامعة، الأمر الذي اضطر أحمد لطفى السيد، أول مدير لجامعة القاهرة (فؤاد سابقا) إلى اللجوء إلى الحيلة حتى يمكن الفتيات من الالتحاق بالجامعة تجنبا للقوى المعارضة. فعمد إلى عدم ذكر الجنس عند تقديم الطلب، وبذلك دخلت الفتاة لأول مرة إلى الجامعة المصرية عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨ م في كلية الطب وفي نفس العام افتتحت كلية البنات لتعليم الاقتصاد المنزلي بحي الزمالك. أما الأزهر فلم يفتح أبوابه لتعليم البنات إلا في بداية الستينيات. (خليل خليل، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ١٠٥-١٠٦)، (فرج، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص ١١٢-١١٣)

٢ - بداية تعليم المرأة في لبنان:

أسست أول مدرسة للبنات عام (١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م) من قبل رجل يدعى إيلي سميث وزوجته، وكانت هذه أول مدرسة في بلاد الشام يقام لها بناء خاص. ثم بعد ذلك تم افتتاح عدد كبير من المدارس حتى وصل عددها عام ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠ م إلى ٣٣ مدرسة تضم نحو ١٠٠٠ تلميذ ٢٠ ٪ منهم من الإناث. (خليل خليل، ١٤٠٩هـ/

١٩٨٩م، ص ١٣٣)، وكذلك قامت منظمة راهبات المحبة وغيرها من المنظمات الدينية؛ بتأسيس مدارس للبنات وصغار البنين في بيروت وبعلبك ودمشق كما قامت الجمعيات الخيرية الإسلامية بمثل ذلك بدءا من عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م. (خليل خليل، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ١٣٣)

٣ - بداية تعليم المرأة في السودان:

قامت أول مدرسة نظامية للبنات في رفاعة عام ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م بجهود الشيخ با بكر بدري. وهي الأساس الذي قام عليه تعليم البنات في السودان. وفي عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م أنشأت الحكومة خمس مدارس، كما أنشأت كلية للمعلمات بأم درمان لتدريب معلمات المدارس الأولية، وذلك في عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٢١م. وفي عام ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م تأسست مدرسة الأحفاد الأهلية الوسطى للبنات. أما الثانوية فقد بدأت عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م بمدرسة الأحفاد بالثانوية. وفي عام ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م أنشئت أول كلية للبنات من أجل تقديم تعليم فوق الثانوي ، وهي كلية الأحفاد الجامعية للبنات. بدري، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ١٢-١٩)

ويعتبر السودان سباقا لغيره من الدول العربية في إنشاء جمعية علمية للدراسات النسائية، وذلك في عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، بهدف تنشيط دراسات المرأة وتوجيهها. وقد أسس هذه الجمعية مجموعة من المدرسات. وأنشئ كذلك " اتحاد المرأة في السودان " وهو لجنة من الرجال والنساء المتخصصين في شئون المرأة والشئون الاجتماعية بصفة عامة؛ للقيام بالدراسات الدقيقة عن قضية المرأة. وهناك مركز الدراسات الإنمائية التابع لجامعة الخرطوم، وهو مؤسسة أكاديمية تعنى بدراسات المرأة. (سمارة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٢٢)

٤ - بداية تعليم المرأة في إيران:

أنشئت أول مدرسة في طهران للبنات عام١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م، وذلك من قبل إحدى الجمعيات التنصيرية الأمريكية (*The American Presbyterian Missionary Society*) ولذا فإنه لم تلتحق بها في البداية سوى الفتيات من الأرمن والمسيحيات. أما المسلمات فلم يطرقنها إلا في عام ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م. أما أول مدرسة أنشأتها الحكومية الإيرانية للبنات، فقد افتتحت عام ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م. ولم يتح للنساء الالتحاق

بالجامعة إلا في عام ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م.(*Beck and Keddie, 1978, p 191,p 300*)

٥ – بداية تعليم المرأة تونس:

ذكر الحداد في كتابه أن الحكومة التونسية قد أنشأت معاهد لتعليم البنات أشبه ما تكون بمعامل صناعية؛ من أجل تخريجهن في النسيج والإبرة كالزرابي والطرز، على مثال العمل في ديار المعلمات قبل الاستعمار. وقد أضيف إلى ذلك دروس في الفرنسية قراءة وكتابة، إلى جانب التاريخ الفرنسي،ومبادئ الحساب والجغرافيا، وهذا هو التعليم الفرنسي. أما التعليم العربي فقد كان يتم على يد مؤدب أو مؤدبة؛ وذلك لحفظ سور من القرآن الكريم مع التمرين على القراءة والكتابة. وهناك مدرسة نهج الباشا بالعاصمة التي تهيئ للشهادة الابتدائية. (الحداد ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٩م، ص ١٩٤)

٦ – بداية تعليم المرأة في الجزائر:

امتنع غالبية الناس في الجزائر عن إرسال بناتهم إلى المدارس في عهد الاستعمار؛ لأنها كانت تمنع تدريس العربية، إلى جانب عدم وجود مدارس في الريف، وجعل الأولوية للأولاد. وكل ذلك قد أسهم في تأخر التحاق البنات بالمدارس الحديثة. وفي عام ١٣٩١هـ – ١٣٩٢هـ/ ١٩٧١م –١٩٧٢م، بذلت بعض الجهود لنشر تعليم البنات؛ أثمرت عن التحاق ما نسبته ٣٢٪ من طلاب المرحلة الابتدائية. وقد عملت الحكومة على تحديد سن ١٤ للتعليم الإلزامي الذي لم يتحقق كما هو الحال في غير الجزائر من الدول. وكان الغرض من التعليم الإلزامي؛ تحديث العقليات التي تمكن من تحرير المرأة، لكنه لم يتحقق لأن الجزائر كانت ضد التحديث على النمط الغربي، على العكس من تونس ومصر. (*Beck and Keddie, 1978, pp. 160- 161, p169*)

٧ – بداية تعليم المرأة في فلسطين:

نتيجة لموجة التعليم التي شهدتها الدول المجاورة في أواخر القرن الماضي، فقد انتشرت المدارس في فلسطين خاصة التنصيرية منها. وقد كانت الدولة العثمانية تقف ضد هذه المدارس – التنصيرية – في بداية الأمر، لكن ضعفها في سنوات ما قبل الحرب العالمية الأولى وخلالها قد قلل من تأثيرها المباشر على مناطق نفوذها المختلفة ومنها فلسطين، حيث أقرت بريطانيا نظام التعليم الإلزامي، وأقبل الأهل على تعليم أبنائهم وبناتهم في هذه المدارس رغم رفضهم للفكر الغربي الجديد الذي حملته. وقد صاحب كل ذلك موجة

محلية وطنية؛حيث إنشأت السيدة نبيهة ناصر عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م مدرسة بيرزيت التي أصبحت فيما بعد كلية بيرزيت، ثم جامعة بيرزيت في عام ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م. ولم تحرم فتاة القرية من التعليم؛حيث إنه في عام ١٣٦٤هـ/ ١٣٦٥هـ، ١٩٤٤م-١٩٤٥م؛ كانت نسبة الفتيات في المدارس ٤٢٪، ٨٪ منهن يدرسن في القرى. (سمارة ١٤١٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ١٩٨-١٩٩)

٨ – تعليم المرأة في المملكة العربية السعودية:

يعد تعليم البنات في المملكة العربية السعودية تجربة فريدة ومتميزة عن غيرها من التجارب المماثلة في الدول الإسلامية. وهذا التفرد والتميز يتعلق بظروف نشأة هذا التعليم، ومعدل تطوره واكتماله والذي استغرق أقل من عشرين عاما.

ونجد أن عصور الركود والتقليد قد ألقت بظلالها على جميع أجزاء شبه الجزيرة العربية، فيما عدا الأجزاء التي تركزت حول مكة المكرمة والمدينة المنورة، باعتبارهما محط أنظار الناس من حجاج وزوار.

وقد أقام بعض الأعيان والتجار عددا من **الكتاتيب** التي كسرت الجمود السائد، وأدت الدور المرجو، إلا أن المراجع قد أغفلت حق هذه المؤسسات؛ حيث لا نجد عنها سوى القليل جدا من المعلومات.

ونجد أول تقرير رسمي للحكومة العثمانية، والذي صدر في عام ١٣٠١ هـ، قد أشار إلى أنه في عام ١٣٠١ هـ/ ١٨٨٣ – ١٨٨٤م كان بمكة ثلاثة وثلاثون كتابا، بها ١١٥٠ طالبا وطالبة، وهي موزعة في أنحاء مكة المكرمة، ثم أخذ العدد يتزايد؛ حيث أشار التقرير الصادر في عام ١٣٠٩ هـ/ ١٨٩١ - ١٨٩٢م إلى أنها قد بلغت ٤٣ كتابا. (ابن دهيش ، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧ م، ص ١٧ – ١٨).

ومن أشهر الكتاتيب التي وجدت:

١ – **كتاب الأستاذة الهزازية**: وكان مقره منزل آل الكندواني بالصفا. وقد تأسس في أواخر الأربعينيات الهجرية، ثم أقفل بعد بضع سنوات. (ابن دهيش، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧ م، ص ٣٣).

٢ – **المدرسة الفخرية بالمدينة المنورة**: ومعلمتها فخرية هانم. وقد تطورت هذه

المدرسة عام ١٣٧٠ هـ / ١٩٥٠ م عن الشكل التقليدي للكتاب حيث أدخلت فيها السبورة بدل الألواح الخشبية، والكتب المدرسية، وعدلت مناهجها لتلائم مرحلة التطور التي كانت تمر بها البلاد آنذاك؛ حيث تحولت بعض الكتاتيب إلى ما يشبه المدارس التحضيرية الحديثة[1]. (ابن دهيش ، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧ م، ص ٤١ – ٤٢).

ويذكر ابن دهيش أن موافقة الحكومة شرطا لم تكن لافتتاح الكتاتيب؛ حيث كان بإمكان أي شخص مؤهل أن يفتح كتابا. (ابن دهيش ، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧ م، ص٥٠).

ثم تطور التعليم على **شكل مدارس أهلية**، وحظيت مكة المكرمة والمدينة المنورة بحظ وافر منها بسبب انطلاق التعليم فيهما على يد علماء قدموا من أقطار إسلامية أخرى لأداء الحج. (الزيد، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م، ص ١٦). وبذلك يكون التعليم الأهلي قد اضطلع بمهمة تعليم الفتاة قبل تأسيس الرئاسة العامة لتعليم البنات بحوالي عشرين عاما.

ومن أشهر المدارس التي وجدت آنذاك:

١ – **المدرسة الخيرية العارفية للبنات بمكة المكرمة**: وقد تأسست عام ١٣٥٨ هـ/ ١٩٣٨ م. وكانت تقوم بالتدريس فيها زوجة محمد عارف مؤسس المدارس العارفية. (آل الشيخ، د. ت، ص ١٥٨).

٢ – **مدرسة خوجة هاشم بالطائف**: وقد تأسست عام ١٣٦٠ هـ/ ١٩٤٠ م، وكانت تديرها السيدة ألطاف عمر هاشم، وكانت أقرب إلى مدارس محو الأمية؛ لافتقارها إلى المنهج الدراسي الواضح. وكان التركيز فيها على تدريس القرآن الكريم. (آل الشيخ، د. ت، ص ١٥٨).

٣ – **دار الحنان بجدة**: وقد أسسها جلالة المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز على نفقته الخاصة وجعلها تحت رعاية حرمه، وكانت مخصصة لليتيمات والمحتاجات من الفتيات، ثم افتتح بها قسم خارجي. وقد ضمت مراحل: الروضة، والتمهيدي، والابتدائي، والمتوسط، والثانوي. وبعد فترة من افتتاحها؛ أدخلت المدرسة ضمن مناهجها بعض البرامج والدراسات في الآلة الكاتبة ومسك الدفاتر والملفات، وذلك من أجل تخريج فتيات يقمن بمؤهلات للوظائف الكتابية بمدارس البنات. (فصول، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١ م، ص ٦، ص ١٦).

(١) للمزيد في الموضوع انظر ابن دهيش، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧ م، ص ٣٢ – ٤٢) .

٤ – **مدرسة البنات الأهلية بمكة المكرمة**: وقد أنشئت عام ١٣٦٢ هـ/ ١٩٤٢ م. وهي امتدادا لنشاط مؤسس دار العلوم الدينية للبنين التي أنشئت عام ١٣٥٣ هـ/ ١٩٣٣ م. وقد أسسها مجموعة من الأندونيسيين و الملاويين ؛ من أبرزهم فضيلة السيد محسن بن علي بن عبد الرحمن الساوي [١] الذي كان له ولأولاده وعائلته دور كبير في تعليم البنين والبنات. (فصول في تاريخ المملكة، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨١ م، ص ١١).

وكانت أول مديرة للمدرسة زوجة الشيخ حسين عبد الغني فلمبان [٢]. وقد ضمت المدرسة منذ إنشائها جميع صفوف المرحلة الابتدائية وفقا لمنهج وزارة المعارف، إلى جانب منهاج للثقافة المنزلية يضم دروسا في الخياطة والتطريز ورعاية الطفل. ثم سارت المدرسة على مناهج الرئاسة العامة لتعليم البنات بعد افتتاحها، كما افتتحت عام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦ م فرعا لإعداد المعلمات. (فصول في تاريخ المملكة، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨١ م، ص ١١ – ١٢).

٥ – **مدرسة الفتاة للثقافة والتدبير المنزلي بمكة المكرمة**: وقد أسسها الشيخ حسين عبد الغني فلمبان عام ١٣٦٧ هـ/ ١٩٤٧ م، وتولت إدارتها زوجته بعد أن استقالت من إدارة مدرسة البنات الأهلية. ثم غير اسمها عام ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ م ليصبح مدرسة الفتاة الأهلية. وقد سارت هذه المدرسة على مناهج البنين مع تعديل طفيف حيث استبدلت الرياضة البدنية بالتربية المنزلية، ثم سارت على مناهج الرئاسة العامة لتعليم البنات بعد إنشائها. وقد اقتصرت المدرسة على المرحلة الابتدائية حتى عام ١٣٨٦ ـ ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ م، حيث افتتح بها فرع للمرحلة الإعدادية. (فصول في تاريخ المملكة،١٤٠٢ هـ/ ١٩٨١ م، ص ١٣).

---

(١) ولد الساوي بمدينة فلمبان في سومطرة في عام ١٣٢٣ هـ/ ١٩٠٤ م ، وقدم إلى مكة المكرمة عام ١٣٤٠ هـ/ ١٩٢١م، والتحق بالمدرسة الصولتية، وتخرج منها ثم درس بها. وفي عام ١٣٥٣ هـ/ ١٩٣٣ م أسس دار العلوم الدينية. (فصول في تاريخ المملكة، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨١ م، ص ١١)

(٢) **حسين عبد الغني فلمبان**: من مواليد سومطرة عام ١٣١٩ هـ/ ١٩٠١ م. هاجر إلى مكة المكرمة عام ١٣٣٠ هـ/ ١٩١٢ م وحصل على إجازة التدريس في الحرم المكي الشريف عام ١٣٤٧ هـ/ ١٩٢٧ م . وقد عين مدرسا بمدرسة دار العلوم الدينية عام ١٣٥٥ هـ/ ١٩٣٥ م، وبقي بها حتى عام ١٣٦٧ هـ/ ١٩٤٧ م حيث افتتح مدرسة الفتاة للثقافة والتدبير المنزلي..(فصول في تاريخ المملكة، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨١ م، ص١٣).

٦ – **المدرسة النصيفية بجدة**: وأنشئت عام ١٣٧٥ هـ بمساعدة الشيخ محمد نصيف؛ الذي شجع الفكرة ودعمها، وتبرع بتوفير المكان. وقد بدأت المدرسة بالصفوف الثلاثة الأولى من المرحلة الابتدائية تحت إشراف السيدة صديقة شرف الدين؛ التي كانت تقوم هي ووالدتها وشقيقتها ومعلمة بالتدريس فيها إلى جانب إدارته دون مقابل. (أبو حسين، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦ م، ص ١٩٦).

وكان لكل مدرسة منهجها الخاص بها، وبعضها كان يتبع مناهج البنين، إلا أن المناهج قد أخذت في التنظيم والتوحد بعد قيام الرئاسة العامة لتعليم البنات. (فصول في تاريخ المملكة، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨١ م، ص ٣٠)، كما أن عددها قد تقلص بعد انتشار المدارس الحكومية وما صاحبها من حسن أداء. (أبو حسين، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦ م ، ص ٢٠٤).

وقد تأخر الجهاز التعليمي للبنات في المملكة العربية السعودية ثلاثين عاما بعد تأسيسها (فصول، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨١ م، ص ٢) وذلك بسبب ما كان يسود البلاد آنذاك من أعراف اجتماعية تعارض تعليم البنات الحكومي عموما، والنسوي خصوصا. فهذه الأعراف ـ خاصة في نجد ـ كانت تعتبر التعليم مفسدا للمرأة، مبعدا لها عن وظيفتها الأساسية؛ ولذلك فقد عمدت الحكومة إلى التريث في الأمر من أجل تهيئة الرأي العام؛ حيث بدأت الصحف في مناقشة الموضوع، وتوضيح مدى أهميته ومشروعيته، الأمر الذي كان له دور كبير في إقناع المعارضين، وطمأنة المتخوفين.(آل الشيخ،د. ت، ص ١٦٠).

وقد أوضح آل الشيخ ـ الذي كان أحد المسئولين عن تعليم البنات في ذلك الوقت ـ كيف أن معارضي تعليم البنات قد خلطوا بين مبد أ تعليم المرأة وما يجب أو لا يجب أن تتعلمه وبين أسلوب تعليمها من حيث الاختلاط بالرجال من عدمه، وأنهم لم يتنبهوا إلى الخطر العظيم الذي يمثله الجهل على الأسرة، ولا إلى الفوائد الجليلة التي تعود عليها من وراء تعلم أهم فرد فيها وهو المرأة. وجرت في تلك الفترة محاولات كثيرة لإقناع هؤلاء من خلال الحوار، إلا أن أكبر إجراء سد الباب أمامهم تمثل في إنشاء الرئاسة العامة لتعليم البنات تحت إشراف مجموعة من العلماء؛ لتكون الجهاز المسئول عن تعليم البنات. (آل الشيخ، د. ت، ص١٤١ – ١٤٢).

وقد كانت هذه المعارضة طبيعية في مجتمع مازال يعيش في أجواء الركود، ويتمسك بالعادات والتقاليد التي منها ما هو عديم الصلة بالإسلام، إلى درجة أن سكان إحدى

المدن الصغيرة قد تكتلوا لمنع افتتاح مدرسة ببلدتهم، واستنجدوا بالأمير فيصل بن عبد العزيز ـ ولي العهد ورئيس الوزراء آنذاك؛ إلا أنه أصر على إبقائها حين لم ينجح في إقناعهم. (عسه ، ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ م، ص ٥٦٨ – ٥٦٩).

إنشاء الرئاسة العامة لتعليم البنات:

صدر القرار بإيجاد تعليم البنات في شهر ربيع الثاني عام ١٣٧٩ هـ/ أكتوبر ١٩٥٩م، وذلك بمرسوم ملكي جاء فيه:

" الحمد لله وحده وبعد: فقد صحت عزيمتنا على تنفيذ رغبة علماء الدين الحنيف في المملكة في فتح مدارس لتعليم البنات العلوم الدينية من قرآن وعقائد وفقه وغير ذلك من العلوم التي تتمشى مع عقائدنا الدينية: كإدارة المنزل، وتربية الأولاد، وتأديبهم ما لا يخشى منه في العاجل أو الآجل أي تأثير على معتقداتنا وتكون هذه المدارس في منأى عن كل شبهة من المؤثرات التي تؤثر على أفكار النشء في أخلاقهم وصحة عقيدتهم وتقاليدهم. وقد أمرنا بتشكيل هيئة من كبار العلماء الذين يتحلون بالغيرة على الدين والشفقة على نشء المسلمين لتنظيم هذه المدارس ووضع برامجها ومراقبة حسن سيرها فيما أنشئت له وتكون هذه الهيئة مرتبطة بوالدهم حضرة صاحب السماحة المفتي الأكبر الشيخ حمد بن إبراهيم آل الشيخ على أن تختار المدرسات من أهل المملكة وغيرهن من اللواتي تتحقق فيهن حسن العقيدة وصدق الإيمان، ويضم في هذه المدارس ما سبق فتحه من مدارس للبنات في عموم المملكة وتكون جميعها مرتبطة في التوجيه والتنظيم إلى هذه اللجنة تحت إشراف سماحته مع العلم أن التشكيل يتطلب الوقت الكافي لتهيئة وسائل التأسيس ونأمل أن يكون ذلك في وقت قريب، والله الموفق، ولا حول ولا قوة إلا بالله". (مصلح، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م، ص ٦٨).

وقد مثل هذا القرار نقطة تحول أتاحت الفرصة للمرأة في نيل حقها الذي حرمت منه، ثم أنشئت الرئاسة العامة لتعليم البنات بعد صدور هذا القرار. (فصول، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م، ص ٦).

وبعد إنشاء الرئاسة العامة لتعليم البنات؛ أصبح تعليم البنات في المملكة العربية السعودية يشمل المراحل الثلاث: الابتدائية والمتوسطة والثانوية والتي تسير وفقا للسلم التعليمي لمدارس البنين، عدا المنهج الخاص بالتدبير والفنون المنزلية.

وقد سار تعليم البنات في المملكة العربية السعودية متوجها بالسياسة العامة للدولة، ومتوافقا مع القيم والعادات والتقاليد ضمن إطار الإسلام.

وفي عام ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م صدرت وثيقة تترجم السياسة التعليمية للدولة، والتي تستهدف الإنسان بشكل كامل ومتوازن. واشتملت السياسة على جزء خاص بتعليم البنات؛ جاء فيه ما نصه:

" ١٤٢: يستهدف تعليم الفتاة تربيتها تربية إسلامية صحيحة لتقوم بمهمتها في الحياة لتكون ربة بيت ناجحة وزوجة مثالية وأما صالحة، لإعدادها للقيام بما يناسب فطرتها كالتدريس والتمريض والتطبيب.

١٤٣: تهتم الدولة بتعليم البنات وتوفر الإمكانات اللازمة ما أمكن لاستيعاب جميع من يصل منهن إلى سن التعليم، وإتاحة الفرصة لهن في أنواع التعليم الملائمة لطبيعة المرأة والوفاء بحاجة البلاد.

١٤٤: يمنع الاختلاط بين البنين والبنات في جميع مراحل التعليم إلا في دور الحضانة ورياض الأطفال.

١٤٥: يتم هذا النوع من التعليم في جو من الحشمة والوقار والعفة، ويكون في كيفيته وأنواعه متفقا مع أحكام الإسلام".

وقد اهتمت الدولة بتعليم البنات والتزمت بتوفير الضمانات الكفيلة كافة بإنجاحه واعتبرته حقا لكل فتاة وصلت إلى سن التعليم ابتداء من رياض الأطفال وانتهاء بالتعليم العالي. (أبو حسين، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦ م، ص ٣٠١)، حيث نجد أن جامعات المملكة تضم أقساما خاصة بالطالبات تسمح للملتحقات بالانتظام أو الانتساب بها بحسب ظروفهن، كما أنشأت كليات البنات التابعة للرئاسة العامة لتعليم البنات لتسهم بدورها في إعداد الكفاءات اللازمة لخدمة العلم وأهله.

وكانت أول كلية للبنات قد أنشئت عام ١٣٩٠ – ١٣٩١ هـ/ ١٩٧٠ – ١٩٧١ م، وذلك بعد عشر سنوات فقط على افتتاح أول مدرسة حكومية للبنات. " (مصلح، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م، ص ٥٢٧)

وقد تفرد تعليم البنات في المملكة العربية السعودية بالسرعة التي استكمل بها مراحله وأنواعه بدءا من رياض الأطفال وانتهاء بالتعليم العالي، إلى جانب العناية بمحو الأمية، وتعليم المعوقات، والتعليم المهني.

* * *

obeikandl.com